رأي القدس

غزة وتحولها الى «لبنان ثان»

■ ان يحذر الجنرال ايغال ديسكين رئيس جهاز الامن الداخلي الاسرائيلي «الشين بيت» من مغبة قيام «لبنان جديد» في قطاع غزة، فان هذا التحذير ينطوي على مبالغة كبيرة، لان هناك فارقا كبيرا بين غزة ولبنان من حيث المساحة والجوار الجغرافي على الاقل.

فمساحة لبنان تزيد عن عشرة آلاف كيلو متر مربع، بينما لا تزيد مساحة قطاع غزة عن 360 كيلومترا مربعا، تتحكم القوات الاسرائيلية بالمعابر البرية، وتسيطر كليا على الجو والبحر.

لبنان يجاور سورية، واجواؤه وبحاره ظلت دائما مفتوحة امام شحنات الاسلحة القادمة من ايران، سواء عبر مطار بيروت او دمشق، بينما تجاور قطاع غزة مصر، والنظام المصري اكثر حرصا على حماية الحدود الاسرائيلية ومنع نشوء اي حركة مقاومة حقيقية من الحكومة الاسرائيلية نفسها.

فبينما تتدفق الصواريخ من كل الاحجام والاوزان على المقاومة الاسلامية في لبنان من الدول الداعمة مثل ايران وسورية، يضطر الفلسطينيون وبفعل «يقظة» اجهزة الامن المصرية، التي تحول دون وصول اي طلقة اليهم، الى تصنيع الصواريخ في ورش حدادتهم، وبمواد بدائية جدا، والاعتماد على انفسهم في كل شيء.

قطاع غزة يمكن ان يتحول الى «لبنان ثان» في حال تخلصت الحكومة المصرية من اتفاقات كامب ديفيد وهذا امر مستحيل، او اذا حصل انقلاب عسكري يطيح بالنظام الحالي القائم في القاهرة ويعيد الدور المصري في التصدي للعدوان الاسرائيلي، وقيادة جبهة مواجهة عربية اسلامية في هذا الصدد، وهذا امر غير مستبعد اذا وضعنا في اعتبارنا حجم الغضب الشعبي تجاه نظامه وقيادته بسبب مواقفهما الرافضة لاي تحرك فعلي لمساندة لبنان في وجه العدوان الاسرائيلي، ولو كان على شكل سحب سفير او اغلاق سفارة.

المقاومة الوطنية في قطاع غزة استطاعت ان تلحق اضرارا مادية ونفسية ضخمة بالاسرائيليين، سواء من خلال عملياتها الفدائية التي تستهدف قواتهم، او من خلال اطلاق الصواريخ المصنعة محليا على المستوطنات الاسرائيلية شمال قطاع غزة، ولكن هذه المقاومة لا تجد الدعم والمساندة، وهي التي تتمتع بالشرعية المطلقة، من الانظمة العربية، وخاصة الجار المصري المسؤول قانونيا عن قطاع غزة الذي كان خاضعا للادارة العسكرية المصرية اثناء احتلاله في حرب حزيران (يونيو) عام 1967.

واذا كان الجنرال ديسكين يتباكى على حركة «فتح» ويخشى من اضمحلال وجودها في القطاع امام حركة حماس «المتطرفة» فان حكومته وسياساتها تتحمل المسؤولية الكبرى في هذا الخصوص، عندما خدعت الحركة وحكومتها واستخدمت اتفاقات اوسلو التي وقعتها من اجل توسيع المستوطنات، وطمس عروبة القدس، وخنق الاقتصاد الفلسطيني من خلال حصار ظالم.

السياسات الاسرائيلية الرامية الى اذلال الفلسطينيين في المعابر والحواجز هي التي ادت الى رجحان كفة الجماعات الاسلامية المتطرفة، وظهور الاجنحة العسكرية لحركات المقاومة التي ايدت العملية التفاوضية كحل وحيد للوصول الى الدولة المستقلة. فافشال الحكومة الاسرائيلية للسلطة وتقويضها لمؤسساتها وعرقلة تطبيق اتفاقات اوسلو هي التي ادت الى اضعاف حزب السلطة «فتح» وظهور تنظيم «كتائب شهداء الاقصى» العسكري الذي اعاد للحركة صورتها النضالية وحافظ على تاريخها كحركة كفاح مسلح.

الامر المؤكد ان الفلسطينيين في قطاع غزة الذين يعانون الجوع والحصار والمجازر الاسرائيلية يتمنون ان يتحول قطاعهم الى «لبنان ثان» ولكن التمني شيء والواقع شيء آخر، فالجار المصري لا يريد ان يقود او يحارب او ينجد اشقاء، ما يريده فقط هو رضا امريكا واسرائيل فقط، اما جيرانه الفلسطينيون فليشربوا من دماء بحر غزة!

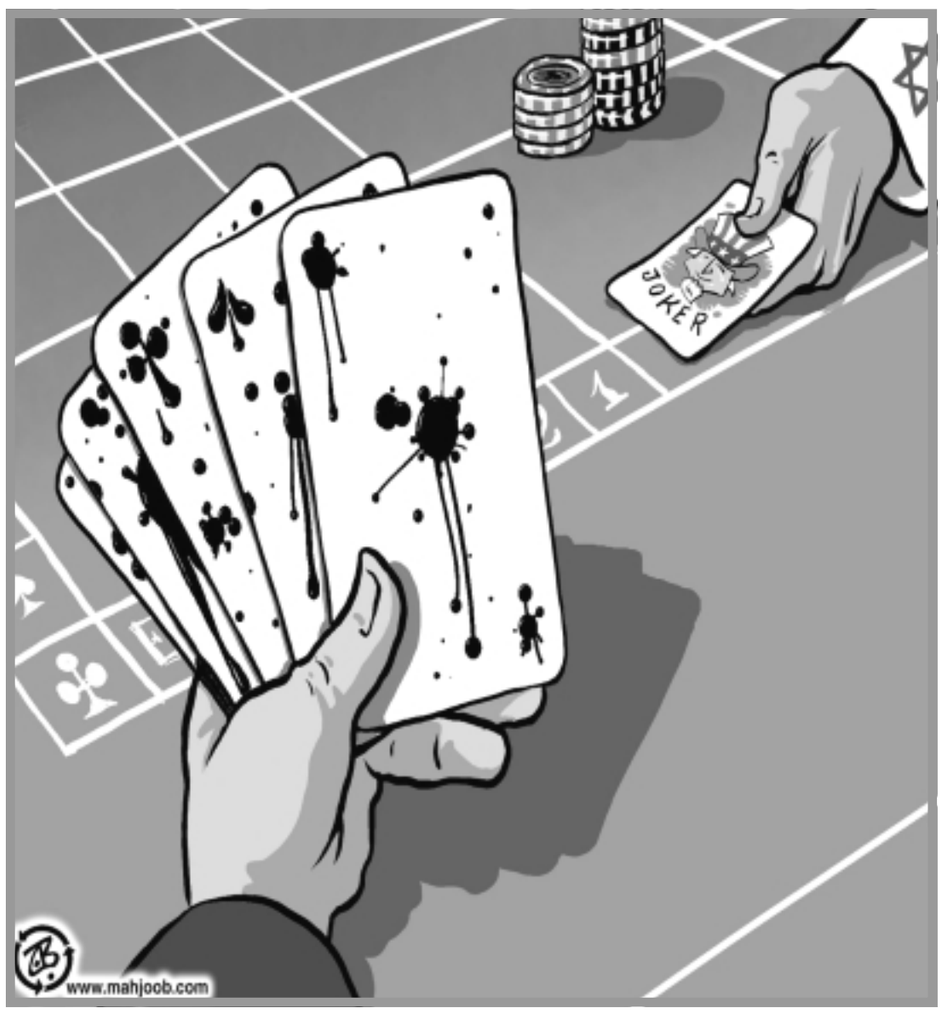

هل يكون لبنان نقطة الانطلاق؟

يحيى ابو زكريا *

■ يعترف المتخصصّون في قضايا التاريخ وحركته بأنّ إنتصار أي أمة هو رهن بمجموعة شروط أولها بقاء هذه الأمة على ثوابتها وخطهّا السياسي العام رغم تكالب الأعداء عليها لحرفها عن مسلكيتها السياسية ونقلها من دائرة إلى أخرى مناقضة كل المناقضة للأولى، وفي الحالة اللبنانية يمكن القول من دائرة المقاومة والصمود وإلى دائرة التطبيع والإنخراط في المعادلة الأمريكية والإسرائيلية وهذا ما لم ولن يحدث في لبنان.

ويرى بعض المحسوبين على أبناء جلدتنا من المستغربين والمثقفين ومثقفي المارينز أنّ إسرائيل قد تكون في موقع المنتصر بحكم ما ألحقته بلبنان من أضرار خطيرة في تفاصيل بنيته التحتية، علما أنّ المقاومة الإسلامية والتي صفعت الخدّ الإسرائيلي في حيفا وطبريا ونهاريا وصفد والعفولة وكريات شمونة هي الأخرى ألحقت أضرارا بالبنى التحتية العبرية ومع ذلك لا يقرّون بإنتصار المقاومة الإسلامية الرائدة لأنها تنطلق من خطّ سياسي لا ينسجمون معه، ولأنّ سادتهم في واشنطن وتل أبيب يطلقون شعارات لا تنسجم البتّة مع تطلعات شعوبنا المستضعفة.

والواقع أنّ لبنان العملاق إنتصر في كل الجبهات السياسية والعسكرية والأمنية، بل إنّ لبنان الذي يحلو للبعض أن يقول بأنّه عديم الدور في محيطه الجيوسياسي قد أصبح رائدا وعملاقا وقائدا ليس للشعوب العربية فحسب، بل يجب أن يتزعم الدول العربية من المحيط وإلى الخليج ويضخّ فيها بعض رجولته عسى أن تعود الحياة إلى المنتظم السياسي العربي.

وإنتصار لبنان على الصعيد السياسي وفي المحافل الدولية يدلّ عليه رفضه الكامل لكل مشاريع التسوية التي أرادت أمريكا والكيان الصهيوني فرضها عليه، وأعلن أنّه مستعد لإدامة الحرب ولا يساوم على مبادئه، بل إنّ الرسميين في لبنان طلبوا من وزيرة خارجية أمريكا كوندوليزا رايس بعدم القدوم إلى لبنان، كما أسمعوا نائب وزير خارجية أمريكا دافيد وولش كلاما لا يرضيه ولا يرضي الإدارة الأمريكية، وقد سمح الأداء السياسي المتألق لكل من رئيس الحكومة فؤاد السنيورة ورئيس البرلمان نبيه برّي بالتنسيق مع المقاومة الإسلامية في تحصين الجبهة الداخلية اللبنانية التي خرجت منتصرة حيث تأتي إنجاز مشروع أممي في ضوء هذا التوافق.

ولأول مرة في الراهن العربي تتمكن دولة عربية من مجابهة المشروع الأمريكي ـ الإسرائيلي وبقوة، وقد عودنا هذا الراهن العربي أن يؤمر الرسميون العرب من قبل واشنطن فيطيعون وبدون مناقشة أو حتى تقديم إشكالات بسيطة، لكن في الحالة اللبنانية ورغم فداحة الأضرار المادية فإنّ الدولة اللبنانية برئاسة العماد إميل لحود تقول بملء فيها لا للمشروع الأمريكي ـ الإسرائيلي، لا لمشروع الشرق الأوسط الجديد الذي تسيطر فيه الدولة العبرية على الشرق الأوسط والعالم العربي، لا للتطبيع، وفوق هذا وذاك لا لوأد المقاومة الإسلامية ورجالها الذين قال عنها الرئيس اللبناني في بداية الغارة الإسرائيلية الظالمة على لبنان في أواسط تموز الماضي انها مقاومة دخلت التاريخ العربي كمحررة للبنان، فكيف يطوّق من حررّ بلاده من أكبر عدو ظالم هو الكيان الصهيوني.

وبالإضافة إلى ذلك فإنّ اللبنانيين توحدّوا فيما بينهم وإلتحم الصليب بالهلال، وتشابكت يد المسيح بيد محمد عليهما الصلاة والسلام وقدمّ اللبنانيون أروع صورة وحدوية والتي يفترض أن تتحول إلى نموذج يحتذى به في كل القارات الخمس.

وهذه الرفعة السياسية والشموخ السياسي لم يكن ليتحقق لولا قوة المقاومة الإسلامية بقيادة سماحة الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله، فالمقاومة الإسلامية في لبنان إنتصرت فعليا بالمفهوم العسكري والأمني، فعسكريا تمكنت الفئة المؤمنة القليلة أن تلحق أكبر الأضرار بالجيش المحسوب الرابع عالميا، فدبابات الميركافا الأسطورة أصبحت أضحوكة ، وكلما كانت تدخل المستنقع اللبناني كانت تفّر محترقة لافظة أدخنتها وهي لا تلوي على شيء، وللإشارة فإنّ الدولة العبرية وفي كل حروبها مع العرب لم تفقد ما فقدته من دبابات وجنود وبوارج حربية في ظرف شهر، وغير هذه الخسائر المادية التي ألحقتها المقاومة الإسلامية بالمؤسسة العسكرية الصهيونية، فإنّ هذه الأخيرة لم تنجح لا في تفكيك حزب الله، ولا الإضرار بتركيبته البشرية والتسليحية، بل إنّ المقاومة الإسلامية إزدادت قوة وصلابة ليس في الجغرافيا اللبنانية فحسب، بل باتت نموذجا وقائدا وملهما في العالم العربي والإسلامي، وبالتأكيد فإنّ المقاومة الإسلامية ستكون أمام مهمة حضارية كبيرة بعد إنسحاب الصهاينة إلى ما وراء الخط الأزرق حيث سوف تصدرّ هذه التجربة الفذة لأجيال لبنان والعالم العربي والإسلامي لإكمال المشروع الحضاري ساعة تحين اللحظة التاريخية.

وفي الوقت الذي إخترق فيه الجهاز الأمني لحزب الله إسرائيل كل إسرائيل، فإنّ الموساد والشين بيت عجزا رغم ما لهما من إمكانات مادية جبارة ووسائل تقنية مهولة من إختراق حزب الله الذي أدّى المعركة بتألق وأداء رائعين.

ولا أحد ينكر بمن في ذلك المحللون العسكريون في صحف «معاريف» و«هآريتس» و«يديعوت أحرنوت» بأنّ المقاومة قتلت أزيد من 150 عسكرياً إسرائيليّا، وأعطبت عشرات الدبابات من نوع الميركافا، وفجرّت ثلاث بوارج حربية، والتفوق الوحيد الذي سجلته إسرائيل هو في مجال سلاح الجو والذي قتلت به الأبرياء والمدنيين وهو ما سجلّ عليها لا لها، والذين سيكملون درب المقاومة سيدرسون هذا الملف جيدا ويبدعون لنا صواريخ مضادة للطيران تتهاوى معه طائراتهم كما تهاوت بوارجهم ودباباتهم ورجالهم في جنوب الصمود والرجولة والشرف والعنوان والنهج والمدرسة والجامعة.

* كاتب من الجزائر

بعد الإنجاز اللبناني

ما هو مستقبل البطالة الدفاعية العربية؟

مطاع صفدي *

■ بعد كل حرب أي حرب إقليمية أو عالمية، يأتي دور السؤال الكبير عمن يتحمل المسؤولية عن كوارثها. وهو السؤال الأهم والأبقى فوق السجالات العقيمة والآنية حول الانتصارات والهزائم على أهميتها عادة في التاريخ التسجيلي. فإذا تابعنا قليلاً كلاً من المشهدين اللبناني والإسرائيلي داخلياً نجدهما غارقين في خضم متلاطم من المهاترات السياسية، بل السياسوية الموجهة غالباً نحو أهداف فئوية متنافسة فيما بينها منذ ما قبل الحرب، والمتصاعدة بعدها بأسلحة دفاع وهجوم جديدة، وفرّتها محصلّات الجبهات، سواءً منها المعبرة عن حقائقها أو المزيفة لها.

إن العدوان الأمريكي الاسرائيلي على شعب لبنان وعمرانه وطبيعته لم يعد يستوعبه مفهوم الحرب. لقد تجاوزه إلى تسميته الأصلية بالهمجية البدائية الخالصة. فما يستدعي التفكير حقاً هو ما تعنيه هذه الهمجية عينها ليس بالنسبة لإيحاءاتها المباشرة أو المتداولة، بل لما اكتسبته من الخصائص غير المسبوقة في همجيات الحروب المعروفة عبر تاريخ العنف الغربي الحديث والمعاصر بصورة خاصة. فضلاً عن كونها حلقة متقدمة من سلسلة ذلك النوع الموصوف بحرب الدولة عالية التقنية ضد الشعب المستضعف لكن المستقوي بقضيته الإنسانية أولاً، فإن لها امتيازها الاستثنائي بما آلت إليه عبر تجربة الصمود غير المتوقع الذي يقلب ثقافة العدوان رأساً على عقب، واعتباراً من خططها الغادرة، إلى أدواتها البالغة أقصى الإبادة الكلية للبشر والحجر، إلى أهدافها الخبيثة في إعادة شرعنة الهمجية كتتويج نهائي لحضارة العنف، وتكريسها على أنها هي الخيار المتبقي لإنسانية اليوم والغد.

هذا (الصنف) من حرب الدولة الكبرى عالية التقنية الاعدامية، على الشعب المستضعف، بل المستقوي بقضيته الإنسانية فقط، هو من إختراع الأمركة في طور الأمبطرة، وقد افتتحتها في (حفر الباطن) مع قيادتها للعدوان العولمي، الأول من نوعه أيضاً، ضد العراق، حين ارتكبت قيادته آنذاك خطيئتها التاريخية الفاصلة في الاستيلاء الأهوج العابر على الكويت؛ ثم جاءت الحلقة الثانية في صورة حصار السلم القتال المضروب على العراق ككل، تحقيقاً لتحلل قواه المادية والبشرية. وأتبعتها بالحلقة الثالثة، أو حرب الضربة القاضية للإجهاز على الدولة والمجتمع والحضارة مرة واحدة، وتحت هول القذائف الذكية إياها بحمولتها من مئات بل آلاف الأطنان من المتفجرات شبه النووية، والتي سوف تهديها لشريكتها إسرائيل كيما تستخدمها كأمضى سلاح شامل لتدمير لبنان، لكن دون الفوز مع ذلك إلا بالعدوان الفاشل، والفريد من نوعه، في سيرة الكيان العبري.

إنها إذن الحلقة الرابعة في نوع الطغيان العدمي المميز لآخر إمبراطوريات التاريخ. وفيها تغدو الحرب أذكى هندسة تقنية في تنظيم الكارثة الشمولية، عرفها تاريخ الهمجية عبر إيقاع إعادة انتاجها من عصر مظلم إلى آخر. لكن العدوان الحالي يتفوق على نفسه. يعيد إنتاج الهمجية بما يتخطى كل خصائصها التقليدية. إنها الهمجية العمياء التي تنهي كل فارق في الطبيعة بين وسيلتها وهدفها. بما إن ممارسة التدمير الشامل عن سابق تصور وتصميم لا تسمح لأصحابها بجني أية مكاسب خارجة عن طبيعته، فإن (مكر التاريخ) هو الذي يتكفل عادة بحرمان المجرم المحض من التمتع بأية ثمرات إيجابية لارتكاباته في نهاية كل شوط. ما يعنيه المجرم المحض هو الذي يستبد به طغيانه حتى يتحول أخيراً هو نفسه إلى الضحية الأشقى من بين ضحاياه الأخرى.

المجرم المحض يكسر مبدأ السببية، يصير هو العلة والمعلول. يقتل لا لسبب كاف ولا لغاية غير أفعاله عينها. إنه التمثال الأعمى الأبكم المجسّد فقط لعبثية العدم. والأمريكي الإسرائيلي يتعهد احتكار نموذج المجرم المحض تعبيراً عن أحادية سطوته على العالم في هذا العصر. وفي النهاية، فالمجرم المحض ليس ثمة عقوبة في الأرض أو السماء تعادل ارتكاباته أو تمحو بعض آثارها. ليس هناك سجن يستوعب فظائعه. ولعل هذا ما (يسوغ) عجز أي شرعة دولية عن احتوائه حتى اليوم.

اجتياح لبنان بالتدمير الشامل، لو حاول أرباب النظام العربي أن يفهموا بعض رموزه لأدركوا أن كل متعامل مع المجرم المحض هو مشروع قتل أو استثمار بالنسبة له، إما جسدياً وعمرانياً أو اقتصادياً وسياسياً. ليس هناك خيار واحد إزاء المجرم المحض سوى الانضمام إليه، والالتحاق بآلته كجزء تافه من أجزائها أو الإنسحاق تحت عجلتها. التحالف معه هو افتئاتٌ على هويته لا تسمح به، ولا يقدر هو عليه. لا تجاور ولا تساكن معه فيما يعتبره (مجاله الحيوي). كل الوطن العربي هو مكانه ولا أمكنة لسواه فيه. فالتهادن معه يعني التبرع والتنازل الطوعي عن الوطن كمجال حيوي محتكراً له وحده. ويصير الآخرون بعروشهم وثرواتهم مجرد أدوات لمشاريعه.

لعل أكبر خديعة يمارسها النظام العربي ضد نفسه وشعوبه معاً هي ترسيخ الاعتقاد باستحالة ما يُصطلح عليه بالتوازن الاستراتيجي مع العدو. فإذا ما استحال هذا التوازن، ثم استحال التهادن بعده، ماذا يتبقى لأرباب النظام سوى الاستسلام الجاني. حتى العروش والثروات لن تبقى لمغتصبيها اليوم أو غداً، كيما ثُورّث لسلالاتهم من بعدهم. هذا التوازن الاستراتيجي الذي عجز عن تحقيق أبسط شروطه مجموع الدول العربية خلال خمسين سنة من الصراع، أثبتت قوة شعبية محدودة في لبنان (الصغير؟) إمكانَ فرضه على الآلة العسكرية الجبارة التي بنتها إسرائيل خلال نصف قرن كامل، وخلال هذه الحقبة الطويلة التي كانت تضاعف اسرائيل من جاهزياتها القتالية عدة مرات وتتسلح بأعلى آلات التدمير الشامل المبذولة لها كماً ونوعاً من مستودعات الجيش الامريكي، كان النظام العربي مستغرقاً أولاً في تدعيم تسلطه على شعوبه، وتحويل جيوشه إلى قوى بوليسية واستخبارية، والامعان في حرمانها من أية أعتدة دفاعية متقدمة؛ هذا لم يمنع أقطار البترول خاصة من إنفاق مئات المليارات في شراء أغلى الاسلحة المشروطة مقدماً بمنع استعمالها، أو حتى التدرب عليها. وإن استعمل بعضها في غزوة (حفر الباطن) ضد الجيش العراقي.

بينما كانت اسرائيل ماضية في استغلال ما سمي بمسيرة السلام، فقد ألزم النظام العربي نفسه بعناوينها كلها واحتراف بطالة غبية في كل شأن دفاعي وطني أو قومي، فانهارت اسطورة التوازن الاستراتيجي ليحل مكانه ليس مبدأ التفوق / والتفرد بالتملك من أعلى تسلح وتدرب ممكنين في هذا العصر فحسب، بل إطلاق العنان لتدخلها ما وراء حدود كل دولة في محاولة دائبة لمضاعفة السلطة الحاكمة بسلطة أخرى غريبة، مقنعة وراء مراكز نفوذ في مفاصل الدولة، ومتحركة بالتوجيهات الأمريكية وبالتالي الاسرائيلية. ما يعني أنه، وفي معظم الأقطار والنفطوية بخاصة، لم يعد ثمة قرار لحاكم فيها، حول أهم الأمور العامة بل أبسطها أحياناً، إلا وهو ترجمة محلية لإرادة أجنبية، بل محض أمريكية إسرائيلية.

ما يقال عن العلل الحقيقية في إحباط مشروع النهضة العربية الثانية، وعلى امتداد حقبة الاستقلال البائسة، وإنشاء الدولة الوطنية الفاشلة، ينبغي إرجاعها، وفي أرومتها الأصلية، ليس فقط إلى الهزائم العسكرية أمام العدو المزروع في خاصرة الوطن، بل إلى هذه البطالة الدفاعية التي أعقبت عصر الجبهات الحدودية المنهارة، كيما تنطلق قوى التخلف والانحطاط من جديد، ممعنة في تدمير دفاعات الجبهة الداخلية؛ وتنجح أخيراً في إعادة قولبة الدولة والمجتمع بحسب نموذج دولة القمع والفساد، ومجتمع الوفرة الاقتصادية الزائفة العائمة على سطوح العوز والتحلل الحضاري المتفاقم.

ذلك هو الدافع اللاشعوري ربما، لاطلاق حملة الهجوم المضاد على النصر اللبناني، في محاولة للإجهاز على دلالته وتزوير أسمائه، ما أن فضحت إنجازاته النموذجية، أخطر انتاجات (المؤامرة المطلقة)، المتمثلة بامتياز في نظرية الاستيلاء على بيت الهندسة المخطط للعمارة النهضوية، بدءاً من تحييد الثقافة الدفاعية من صلب تطورها المستقبلي.

لكن، بعد الانجاز اللبناني هل ثمة تحييد إزاء الجرم المحض. إنه سؤال التغيير القادم.

* مفكر عربي مقيم في باريس

السعودية: عملية انتقال «صعبة» للجيل الثاني في الحكم

د. مضاوي الرشيد *

■ تختلف الاسرة الحاكمة المالكة السعودية عن نظيرتها في دول الخليج الاخرى حيث انها مع الزمن تطورت من كونها اسرة صغيرة الى مرحلة تبلورها كقبيلة متشعبة مترامية الاطراف تتقاسم الهيمنة على الجزيرة العربية عن طريق توزيع المناصب والموارد الاقتصادية حسب معادلة بسيطة، تقتضي المعادلة تنصيب الاقرب من حيث رابطة القربى الى نسل الملك عبد العزيز حيث يستأثر ابناؤه بحصة الاسد سياسيا واقتصاديا من التركة وكلما ابتعدنا عن هذا الخط من النسل كلما قلت الصلاحيات والحصة من الارث ونلاحظ ان الحصة تكاد تنعدم او تتلاشى عندما نصل الى مجموعة من الامراء والذين يمكن تصنيفهم بأنهم يشكلون مجموعة من «المغضوب عليهم» اما بسبب حزازات عائلية سابقة واما بسبب انحدارهم من سليلة قد حيدت في السابق. تكتفي هذه الشريحة الكبيرة من المغضوب عليهم بمعاشات شهرية وبعض الفتات من التركة الكبيرة والغنيمة الوفيرة ويسمح لها ببعض الصلاحيات والمشاريع الاقتصادية التي لا تجعلها مهمشة كليا من الناحية الاقتصادية وتمنعها من الغرق النهائي في القبيلة الكبيرة ومحورها الرئيسي وتضمن لها المستوى الاجتماعي الذي يخولها لان تحمل القاب السمو والمعالي.

ومنذ ان دخل الجيل الاول من نسل المؤسس عصر الشيخوخة نجد ان القبيلة تبحث جادة عن وسيلة تمكنها من انتقال السلطة واحتكارها من الابناء الى الاحفاد. جاء تسريب خبر اللقاء بين طلال بن عبد العزيز ـ العم ـ بالاحفاد الى الصحافة من باب اطلاع العالم الخارجي والداخل السعودي على ان القبيلة تحرص على تطوير ذاتها وتسهيل الانتقال من الجيل الاول الى الثاني رغم ان الحيز الاعلامي اكد على ان الوقت لا يزال مبكرا لتولي الاحفاد مقاليد الحكم. الكل يعلم ان هذه القبيلة تجتمع في الافراح والاتراح وخلف الكواليس من اجل صياغة المحاصصة وتوزيع الارث ولكن لا تحظى هذه الاجتماعات بالاهتمام اذ انها روتينية ومنسقة. اذن لماذا وجد هذا الخبر الفريد طريقه الى العلن؟ وما مغزى اجتماع العم بأبناء اخوته وهم الذين قد ورثوا مناصب ابائهم العجزة منذ فترة؟ الكل يعرف ان ابن الملك عبد الله قد تم تتويجه في منصب كان والده قد احتكره في الحرس الوطني والكل يعرف ان ابن وزير الداخلية قد ورث الهيمنة على قرارات وزارة الداخلية من امن وقمع داخلي وارهاب منظم ليس فقط ضد من حمل السلاح في المملكة بل من نطق بالاصلاح والكل يعي ان المهام الدفاعية قد انتقلت من وزير الدفاع الى ابنه فارس الصحراء وان الخارجية وادارتها تنتقل اليوم بين ابناء الملك فيصل الراحل. اما ابناء طلال نفسه فقد فسح المجال لهم لبناء امبراطورية اقتصادية عالمية تنتفع وتعتاش على البلبرلة الاقتصادية والعولمة وامير الامبراطورية الاعلامية السعودية قد هيأ اولاده للهيمنة على ما يدعى السياحة الدينية والترفيهية اما البقية الباقية من الاحفاد فتم نشرهم كأمراء مناطق يعيثون في الارض فسادا ويتعاملون مع ابناء هذه المناطق بغطرسة اشبه ما تكون بغطرسة الولاة المنفيين على اطراف الدولة لا من وازع ولا من رقيب يصولون ويجولون وكأنهم مقاطعات نائية او دويلات فيدرالية مستقلة. يبقى المجتمع معزولا عن خفايا توزيع الارث العام للقبيلة وليس له الا ان يعلل النفس بأن يشرك في فتات الحصص الكبيرة عسى ولعل يكون له نصيب ولو بخس في عملية التوزيع القائمة على قدم وساق طيلة قرن كامل.

جاء لقاء العم بالاحفاد ليعطي صورة «حضارية» عن عملية تطوير القبيلة تخرجها من صورة شيخ العشيرة الهرم ومنظومة الاب العجوز الى مرحلة تكون اكثر انسجاما مع القرن الحالي ومعطيات العصر. ربما يحاول هذا اللقاء نزع صورة الشيخ في مجلسه ببيت الشعر حيث يلتقي بأبنائه ويستعرض مؤهلاتهم وانجازاتهم على الساحة ويتشاور مع امير الحرب واميرالقمع واميرالحج واميرالعلاقات العامة واميرالعلاقات الخارجية. الكل يستعرض فرسه وفروسيته علّه يتوج في منصب جديد او يجمع بين منصبين في وقت واحد بمعزل عن الفرسان الباقين.

وبينما كان النمط القبلي السابق يتصف بشيء من الديمقراطية خاصة النمط الذي عرفته قبائل الجزيرة الا ان النمط السعودي القبلي الحالي تطور نحو الاسوأ حيث ان المدنية والتكنولوجيا الحديثة وخاصة الاستخباراتية والعسكرية قد افقدته بعض صفاته السابقة وحولته الى ديكتاتورية اشبه ما تكون بديكتاتورية البوليت بيرو الشيوعية حيث هناك مجلس مغلق معزول عن قاعدته الشعبية يستأثر بالقرار والعباد والموارد. مركزية القبيلة السعودية الحاكمة ظاهرة جديدة في تاريخ القبيلة كما عرفتها الجزيرة العربية. اليوم مجلس القبيلة السعودية هو البوليت بيرو المركزي الذي يصنع القرار. وان وجدت اختلافات داخلية بين اعضائه الا ان القرار الاخير يبقى في يد المحاور المركزية التي تضمن بقاء المجلس طافيا على السطح وهذا يرجح كفة الاعضاء المسيطرين على القاعدة العسكرية والامنية والاستخباراتية التي تضمن التعاطي مع الاختلاف بالحسم العسكري او التلويح بمثل هذا الحل ان بدرت خلطة ما بعد الحداثة تحت حكم قبيلة كبيرة تجمع اسوأ ما في الحكم القبلي والعصرانية خاصة آلتها القمعية وتتستر بعباءة دينية هشة تشكك هذه النخبة نفسها بصلاحيتها وقدرتها على تطوير فكرها لتنتشل الاكثرية من مستقبل باهت تشوبه علامات استفهام كبيرة ومخططات لم تتضح معالمها بعد بشكل عريض. تتحمل هذه النخبة مسؤولية الانهيار ان هي صمتت ولم تهيىء الارضية الفكرية للبديل الذي يحكم بالمؤسسة وليس بالفرد. لا نتوقع ان تستمد هذه النخبة الهامها من تجارب غربية بل ندعوها ان تنظر حولها وفي محيطها الخليجي لتتعلم دروسا في كيفية تحقيق دولة المؤسسات التي تحسم صراع الافراد من جيل اول او ثاني او من جيل الكتائب او من حملة الشهادات العالية. يجب على هذه النخبة ان تعيد النظر في سلبيتها تجاه امور جوهرية كنظام التوريث القبلي الحالي ونظام السرية ومسؤوليتها عن الشأن العام خاصة بعد ان فقدت قدرتها على التدخل فيه وتحديد مساره وقبل لها بالخط العريض ان هذا الشأن من اختصاص اعضاء القبيلة المالكة والحاكمة. ان بقيت هذه النخبة تكتب بأقلام مهداة من افراد القبيلة ستكتشف ان حبرها سيجف وسيكون مصيرها مرتبطا بمصير القبيلة ذاتها وكم قبيلة انقرضت في السابق ولم تستطع ان تتعاطى مع المعطيات الجديدة على الساحة. تعلل النفس بالاصلاح الحذر المزعوم ولكنها اكتشفت ان «الحذر» لا يطبق الا في مجالات هامشية بينما تبقى الكعكة متماسكة في حالة واحدة فقط هي السيطرة على مسار التوريث الحالي والذي يقوي افراد القبيلة ويضعف المجتمع فقط لا غير ويستنزف الموارد الاقتصادية والسمعة العالمية وفي المحيط العربي والاسلامي. خير دليل على هذا التصور هو ما وصلت اليه الحال بعد الحرب على لبنان هذه الحرب كشفت القناع عن مسار القبيلة الحاكمة الجديد والذي تخلى عن الزيف السابق وخرج الى العلن. مسار الخطوط الجديدة في السياسة السعودية الخارجية هو منظار يدلنا على التعفن الداخلي.

وهذه ليست المرة الاولى التي تظهر السعودية بمظهر الدولة الخارجة عن اجماع شعبها والعالم العربي بل هناك امثلة كثيرة لا مجال لذكرها. المشكلة تقبع في كون القرار السياسي الداخلي والخارجي هو من صنيعة زمرة قليلة تدار من قبل جهات خارجية معروفة ولم يبق لهذه الزمرة سوى الاستجابة واعلان السمع والطاعة حتى تتمكن من تحقيق حلم الاباء في توريث الابناء.

* كاتبة واكاديمية من الجزيرة العربية
www.madawialrasheed.org

القدس العربي
يومية سياسية مستقلة
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو
هاتف: 8008 741 ـ 0208 (6 خطوط) ـ
فاكس: 8902 741 ـ 0208 أو 7637 748 ـ 0208
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)
مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 770594(37 212)
مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.
هاتف/فاكس: 5066089 (9626)
مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Al-Quds Al-Arabi
daily Independent News Paper
Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.
Editor In Chief
ABDEL BARRI ATWAN

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England
Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) **Fax:** 0208-741 8902 / 748 7637
*email: alquds@alquds.co.uk * Internet: www.alquds.co.uk*
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).
Tel/Fax: (202) 3901523
Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco
Tel/Fax: (212 37) 770594
Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.
Tel/Fax: (9626) 5066089
Paris Office: Tel / Fax: (331) 420 57364